أثر المشاكلة التركيبية في التوجيه النحوي عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط

أماني عبد الزهرة عبد الصمد سلمان

أ.د. شعلان عبد علي سلطان

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

The effect of structural similarity in the grammatical guidance According to Abu Hayyan Al-Andalusi in his interpretation of the "AL-bahr AL-Muheet"

Amani Abd Alzahra Abd Alsamd Salman

Prof. Dr. Shalan Abd Ali Sultan

University of Babylon / College of Education for Humanitarian Sciences

Email : Amanialmansouri0@gmail.com

ملخص البحث

المشاكلة مصطلح من المصطلحات التي شاعت في علوم البلاغة ، بوصفها فنًا من الفنون البلاغية التي تقتضي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه بصحبته، ولكن هناك نوع آخر من المشاكلة يقتضي مراعاة التوازن التركيبي بين العبارات والجمل، وقد أشار إليه العلماء من نحاة ومفسرين إشارات كثيرة، وكان عاملا مرجحًا لتوجيه نحوي على آخر، وقد وجدتُ ذلك واضحًا جليا عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ، فحاولتُ تتبع أثر مراعاة المشاكلة التركيبية في النصِّ القرآني في التوجيه النحوي، فكان بحثي الموسوم بـ(أثر المشاكلة التركيبية في التوجيه النحوي عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط) ، فعرضتُ لمفهوم المشاكلة التركيبية وورودها عند النحاة، وأثر المشاكلة التركيبية في السياق المتصل، ثم أثر المشاكلة التركيبية في السياق المنفصل، ثم عرضتُ بعض النماذج التي تخص هذه المشاكلة الواردة في تفسير البحر المحيط ، ثم تلا ذلك خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث .

الكلمات المفتاحية: المشاكلة التركيبية، البحر المحيط، التوجيه النحوي.

Abstract

Similar is a common term in rhetoric science as an art of rhetoric that requires That requires mentioning something by saying another to put it in accompanied him . But there is another kind of similarity that requires taking into account the synthetic balance between phrases and sentences, scientists have referred to it from the sculpture and interpreters of many references He was a likely actor to direct the grammatical over another And we found that very clear in Abu Hayyan Al-Andalusi in his interpretation of "Al-Bahr Al-Muheet" So we tried to trace the effect of observing the structural similarity in the Qur'anic text in the grammatical guidance, so our research was titled (The effect of structural similarity in the grammatical guidance According to Abu Hayyan Al-Andalusi in his interpretation of the "AL-Bahr AL-Muheet") And we presented the concept of structural similarity and its occurrence in the grammarians ,and effect of structural similarity in the related context , Then the effect of structural similarity in the separate context, then we presented some models that pertain to this similarity contained in "AL-Bahr AL-Muheet") , and then followed by a conclusion that included the most important findings of this research.

Keywords: structural similarity, "AL-Bahr AL-Muheet", grammatical guidance

مفهوم المشاكلة التركيبية:

المشاكلة أو ما يُعرف بالتناسب أو الانسجام، لم يقتصر تحقيقه على مستوى الصوت، أو الصيغ الصرفية، بل شمل التركيب أيضًا، فقد راعى النصُّ الكريم التوازن التركيبي في جمله وعباراته، مما يضفي على النصِّ سمة جمالية انفرد بها النصّ الكريم.

وقد وردت هذه الخاصية في كتب النحاة ، وعنايتهم بها، فكانت من الأسس التي اعتمدوا عليها في تعقيد القواعد النحوية، وتعليل ظواهرها، وقد عرفت بمسميات مختلفة، وجاءت متفرقة في كتبهم، مقصورة على أمثلة تدلُّ عليها، ومعبرة عنها.

وهذه بعض النصوص التي توضح مدى عناية النحاة بهذه الخاصية، منها ما ذكره سيبويه(ت١٨٠هـ) في كتابه، وكانت بلفظ (الجوار) الذي يعني (المجاورة)، إذ قال:"وقد حملهم قرب جوار على أن جروا: هذا حُجْرُ ضبٍ خربٍ، ونحوه، فكيف ما يصحُّ معناه"(١)

نلحظ من كلام سيبويه أنَّه قد جر لفظ (خرب) وكان من المفترض رفعه؛ لأنَّه صفة (حجر)، وليس صفة (ضب)، ولكنَّهم جروه حملًا على مجاورته للفظة (ضب) فمن باب التشاكل جُرَّ.

وذكر الفراء(ت٢٠٧هـ) في تفسير سورة الضحى: "وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَغْنَى﴾ (سورة الضحى:٨) و ﴿فَآوَى﴾ (سورة الضحى:٦) يُراد به (فأغناك) و(فآواك) فجرى على طرح الكاف؛ لمشاكلة رؤوس الآيات، ولأنَّ المعنى معروف"(٢)

ويقول ابن السراج (ت٣١٦هـ): "وكذلك إذا عطفت جملة على جملة فكانت الأولى فيها الاسم مبني على الفعل، كان الأحسن في الجملة الثانية أن تشاكل الأولى، وذلك نحو: "ضربت زيدًا وعمرًا كلمته" والتقدير: ضربت زيدًا وكلمت عمرًا فأضمرت فعلًا يفسِّره "كلمته"(٣)

ويقول أبو علي الفارسي (ت٣٧٠هـ): "قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل

(١) الكتاب،١/ ٦٧.
(٢) معاني القرآن،٣/ ٢٧٤.
(٣) الأصول في النحو،٢/ ٢٥٣.

طلبًا للتشاكل وما يوجب الموافقة"[١]

ويقول العكبري (ت ٦١٦هـ): "ومن المجاورة ، قولهم : قامَ زيدٌ وعمرًا كلمته، استحسنوا النصب بفعل محذوف لمجاورة الجملة اسمًا قد عمل فيه الفعل"[٢]

وقد أشار ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) إلى المشاكلة بقوله: "والعرب تختار مطابقة (مشاكلة) الألفاظ ما لم تُفْسِد عليهم المعاني، فإذا جئت بجملةٍ صدَّرتها بفعل، ثمَّ جئت بجملة أُخرى معطوفةٍ على الجملة الأولى ، فيها فعلٌ، كان الاختيارُ تقدير الفعل في الجملة الثانية ...، نحو: "قام زيدٌ وعمرًا كلمتُه "، إذ الغرضُ توافُق الجُمل وتطابقُها لا تختلف، وليس الغرضُ أن يكون فيها منصوبٌ ، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (سورة الأسراء:١٣)، فنصب "كلاً"؛ لأنَّ قبله فعلًا وهو ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ (سورة الاسراء:١٢)، وأضمر له فعلًا نَصَبَه به، ثمَّ عطفها على الأولى؛ لتشاكُلها في الفعلية، وإذا كان النصبُ من غير تقدُّم فعلٍ جائزًا، كان مع تقدُّمه مختارًا، إذ فيه تشاكُلُ الجملتَيْن من غير نقضٍ للمعنى"[٣]

نلحظ من ذلك أنَّ النّحاة قد عبَّرُوا عن هذه المشاكلة بألفاظ تدلُّ عليها، فمنها الجوار، والمطابقة، والمناسبة، وغير ذلك.

وقد عبَّرَ عنها معربو القرآن الكريم بألفاظ مختلفة، منها المشاكلة، والمناسبة، والمقابلة، والجوار، والموافقة، واشتقاقات هذه الكلمات، واستعمل أبو حيان مصطلح المشاكلة، ومن ذلك قوله: "وإنَّما جيء بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة، كما تقول لرجلٍ يغرسُ الاشجارَ: اغرس كما يغرس فلان، يريد رجلًا يصطنع الكرم"[٤]

ومعبرًا عنها بالمطابقة في قوله: "ويجوز أن يكون ماذا كله استفهامًا منصوبًا بـ(ينفقون)، وتكون المطابقة من حيث المعنى لا من جهة اللفظ"[٥]

(١) الحجة للقراء السبعة،١/ ٧٠-٧١.
(٢) التبيان في إعراب القرآن،١/ ٤٢٣.
(٣) شرح المفصل،١/ ٤٠٤-٤٠٥.
(٤) البحر المحيط،١/ ٦٥٦.
(٥) المصدر نفسه ،٢/ ٤٠٧.

ومعبرًا عنا بالمقابلة في قوله: "واختاروا أن يكون مبتدأ والخبر محذوفٌ تقديره: إلقاؤك أوَّلُ ويدلُّ عليه قوله: "وإمَّا أن نكون أوَّلَ من ألقى" فتَحْسُنُ المقابلةُ من حيث المعنى"[1]، ومعبرًا عنها بالجوار في قوله: "وأنَّ أصله النصب فخفض عطفًا على الجوار"[2]

يبدو من ذلك أن المشاكلة بين التراكيب، تلك الخاصية التي يلجأ إليها صاحب النصّ، أو المعرب أو القارئ، في تحديد الحكم الإعرابي ، أو اختياره أو ترجيحه، وفق ضوابط معينة، وتُعرف بحمل التركيب على أحد التوجيهات المحتملة لوقوعه بصحبة تركيب آخر موازٍ له في انتظام عناصره وبنائه الفني.[3]

إنَّ المشاكلة ، أو التلاؤم والانسجام في تراكيب النص القرآني له أثر كبير في التوجيه النحوي ، وبيان مدى قوته أو ضعفه أو رفضه، وقد اعتمدها أبو حيان في توجيهه النحوي للتركيب القرآني في مواضع كثيرة من تفسيره.

وهذا الأثر يتحقق في صورتين، وهما:

١- أثر المشاكلة في السياق المتصل: تكون هنا المشاكلة تحقيقية ، وهي مشاكلة لفظية ، يُذكر اللفظ الثاني مشاكلًا للفظ الأول المذكور في الجملة قبله أو بعده، وعادة ما يكون قبله، ويتحقق هذا في سورة واحدة ، وبين تراكيب آية واحدة ، أو آيتين متتاليتين، وقد أعتمد عليها أبو حيان في توجيهه تركيبًا معينًا، لموافقته تركيب آخر في الآية نفسها.

وهذه بعض الأمثلة القرآنية التي توضح توجيه أبو حيان لها بلحاظ المشاكلة بين تراكيب الآيات المباركة، ومن ذلك توجيهه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (سورة يونس:٣٥)

الفعل(يهدي)، فعل متعدٍ إلى اثنين، وقد قيل: إنَّه فعل لازم(قاصر) لا يتعدى

(١) البحر المحيط ،٧/ ٣٥٤.
(٢) المصدر نفسه ،١/ ٥٤٤.
(٣) فصاحة التركيب القرآني عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، د. شعلان عبد علي سلطان، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل،٢٠١٧م،٧٠٧.

بمعنى(اهتدى)، وقد كانت المشاكلة بين تراكيب النص القرآني، دليلًا على توجيه الفعل بأنه متعدٍ. وهذا ما اختاره أبو حيان، بقوله: "ويهدي إلى الحق حُذف مفعوله الأول، ولا يصح أن يكون لازمًا بمعنى: يهتدي ؛ لأنّ مقابله إنما متعدٍ، وقوله: (قل الله يهدي للحق)، أي يهدي من يشاء الحق"(١).

هذا كان رأي الفراء والكسائي، إذ قال الفراء: "العرب تقول: قد هدى فلان، واهتدى بمعنى واحد، وهما جميعًا في اهل الحجاز"(٢).

ويقول الزمخشري: "ويُقال: هدى بنفسه بمعنى اهتدى، كما يقال: شرى واشترى"(٣).

وقد تابع ابن عادل من المفسرين أبو حيان في اختياره، و ردَّ على راي الكسائي والفراء، ومن بعدهم الزمخشري، بقوله: "وفيه نظر؛ لأنّ مقابله وهو (قل الله يهدي للحق) متعدٍ"(٤).

يبدو من ذلك أنّ أبا حيان قد اختار أن يكون الفعل متعديًا ؛ لأنّ مقابله متعدٍ وليس لازمًا، حتى يكون بينهما من التلاؤم والانسجام، الذي هو ميزة النص القرآني.

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النمل:٣١)

ذكر المفسرون في إعراب (أن) من قوله (ألا تعلوا) أوجهًا:(٥)

الأول: أنّ (أن) مصدرية في موضع رفع بدلًا من (كتاب)، كأنّه قيل التقدير: أُلقي إلي أن لا تعلوا عليَّ، وتكون (لا) نافية.

الثاني: أن تكون في موضع رفع على أنّها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو أن لا تعلوا.

الثالث: أن تكون في موضع نصب على اسقاط الخافض، بمعنى: بأن لا تعلوا، وتكون (لا) نافية.

الرابع: أن تكون مفسرة، كما تقدم في قراءة عكرمة لقوله: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ

(١) البحر المحيط،٦/ ٥٥.
(٢) كتاب فيه لغات القرآن،٧٣.
(٣) الكشاف،٢/ ٣٤٦ .
(٤) اللباب في علوم الكتاب،١٠/ ٣٢٤.
(٥) يُنظر، البحر المحيط،٨/ ٢٣٥، والكشاف،٣/ ٣٦٤، والدر المصون،٨/ ٦١٠.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (سورة النمل:٣٠)، وتكون هنا(لا) ناهية ، وهو اختيار الزمخشري[١]، والرازي.[٢]

رجَّح أبو حيان اختيار الزمخشري، بأن تكون (أن) مفسرة، و(لا) ناهية ؛ لأجل المشاكلة بين تركيبي الآيتين، يقول: "وقال الزمخشري: وأنّ في (ألا تعلوا) على أن تكون مفسرة، وهو حسن لمشاكلة عطف الامر عليه وهو قوله: (وأتوني)، ويكون المعنى: لا تعلوا لا تتكبروا كما تفعل الملوك"[٣][٣]، وتابعه تلميذه السمين الحلبي[٤].

وهذا الرأي ذكره الكرماني ثم تابعه الزمخشري، إذ قال: "ويجوز في (ألا تعلوا عليَّ) الرفع على(أُلقي إليَّ أن لا تعلوا)، ويجوز النصب كتابًا بأن لا تعلوا، والاحسن أن تكون مفسرة"[٥]

وذكر الالوسي أوجه الاعراب هذه دون ترجيح أحدها، إذ يقول عند كلامه على عطف (أتوني مسلمين): " (وأتوني مسلمين) عطف على ما قبله، فإن كانت فيه (لا) ناهية فعطف الامر عليه ظاهر، وإن كانت نافية و(أن) مصدرية فعطفه عليه من عطف الانشاء على الاخبار والكلام فيه مشهور، والاكثرون على جوازه في مثل هذا"[٦].

من الآيات الأخرى التي كانت المشاكلة لها أثر في الاعراب ، قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (سورة الرعد:١٨) .

ذكر المفسرون في إعراب (للذين استجابوا لربهم الحسنى) وجهين[٧]:

(١) الكشاف،٣/ ٣٦٤.
(٢) مفاتيح الغيب،٢٤/ ٥٥٤.
(٣) البحر المحيط،٨/ ٢٣٥.
(٤) الدر المصون،٨/ ٦١٠.
(٥) لباب التفاسير،١٨٩٧.
(٦) روح المعاني،١٠/ ١٩١.
(٧) يُنظر، البحر المحيط،٦/ ٣٧٥، و الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني،٣/ ٦٧٣-٦٧٤،و إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش،٥/ ١٠٩.

الأول: أن يكون(للذين) خبرًا مقدمًا، و(الحسنى) مبتدأ مؤخرًا، و(الذين) مبتدأ وخبره (لو أن لهم ما في الأرض).

الثاني: أن يكون(للذين) متعلقًا بـ(يضرب) معطوفًا عليه، والمعني: كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين أجابوا ربهم، وللكافرين الذين لم يجيبوا، وهما الفريقان، و(الحسنى) صفة لمصدر (استجابوا)، فيكون المعنى: استجابوا الاستجابة الحسنى، ويكون قوله: (لو أن لهم ما في الأرض) كلامًا مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين.

وهذا اختيار الزمخشري، إذ يقول: "للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب، أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا، وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مثلا الفريقين، والحسنى صفة لمصدر استجابوا الاستجابة الحسنى، وقولهم: لو أنّ لهم كلام مبتدأ، ذكر ما أعد لغير المستجيبين"[١]، واختاره البيضاوي[٢]، والشوكاني[٣].

رجَّح أبو حيان الوجه الأول، وهو أن يكون (للذين استجابوا لربهم) كلامًا مستأنفًا عما قبله، أي أن (للذين) خبر مقدم و(الحسنى) مبتدأ مؤخَّر، إذ يقول: "لأنَّه فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين، والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة هذين وفي غيرهما ؛ ولأنّه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب، ذكر ما للمستجيبين من الثواب"[٤].

ردَّ أبو حيان على رأي الزمخشري، بقوله: "ولأنَّ تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقيد الاستجابة، ومقابلتها ليس نفي الاستجابة مطلقًا، إنّما مقابلُها نفي الاستجابة الحسنى، والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقًا ؛ ولأنه على قوله: يكون قوله: "لو أنّ لهم ما في الأرض جميعًا" كلامًا مُفلتا مما قبله، أو كالمُفلت، إذ يصير المعنى: كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين"[٥].

(١) الكشاف،٢/ ٥٢٤.
(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل،٣/ ١٨٥.
(٣) فتح القدير،٣/ ٩١.
(٤) البحر المحيط،٦/ ٣٧٥.
(٥) البحر المحيط،٦/ ٣٧٥.

وقد سبق العكبري أبا حيان، إذ قال: "للذين استجابوا، مستأنف، وهو خبر (الحسنى)"[١]، و وافقهما الهمذاني[٢].

وهذا رأي ابن عاشور مع بيانه لتقديم الخبر على المبتدأ، إذ يقول: "وفي العدول إلى الموصولين وصلتيهما في قوله: للذين استجابوا – والذين لم يستجيبوا إيماء إلى أنّ الصلتين سببان لما حصل للفريقين ، وتقديم المسند في قوله: (للذين استجابوا لربهم الحسنى) ؛ لأنّه الأهم لأنّ الغرض التنويه بشأن الذين استجابوا مع جعل الحسنى في مرتبة المسند إليه، وفي ذلك تنويه بها أيضًا"[٣]

نلحظ من ذلك أنّ أبا حيان قد رجح الرأي الأول، ولم يرتضِ توجيه الزمخشري بناءً على المشاكلة بين عناصر تركيب الآية المباركة ، فيكون كلاهما متكونًا من مبتدأ وخبر من ناحية اللفظ ، ومن حيث المعنى، يكون هذا الضرب لكلا الفريقين المؤمنين والكافرين.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (سورة النحل:٥-٦)

ذكر المفسرون في إعراب (لكم فيها دفءٌ) وجهين[٤]:

الأول: أن يكون(لكم) متعلق بالفعل (خلقها)، و(فيها دفءٌ) جملة في موضع الحال من الضمير المنصوب (الهاء) في(خلقها).

الثاني: ان يكون (لكم) شبه جملة متعلقة بمحذوف، وهو (خبر)، ويكون(فيها) متعلقًا بما تعلق به الخبر، أو يكون حالًا من (دفءٌ) ؛ لأنّه لو تأخر لكان صفة له ، أو يكون هو الخبر، و(لكم) متعلق بما تعلق به، وهو اختيار العكبري، إذ يقول: "ويجوز أن يكون (لكم) حالًا من (دفءٌ) و(فيها) خبر، ويجوز أن يرتفع (دفءٌ) بـ(لكم) أو بـ(فيها) والجملة كلها حال من الضمير المنصوب"[٥].

(١) التبيان في إعراب القرآن ،٢/ ٧٥٦.
(٢) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد،٣/ ٦٧٤.
(٣) التحرير والتنوير،٣/ ١٢٢.
(٤) يُنظر، البحر المحيط،٦/ ٥٠٦، والدر المصون،٧/ ١٩١.
(٥) التبيان في إعراب القرآن،٢/ ٧٨٩.

وقد اختار أبو حيان أن يكون (لكم فيها دفءٌ) جملة مستأنفة، و(دفءٌ) هي المبتدأ والخبر(لكم)، و(فيها) متعلق بما تعلق به (لكم) من معنى الاستقرار.

ردَّ أبو حيان على العكبري، بقوله: "وهذا لا يجوز؛ لأنّ الحال إذا كان العامل فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة بأسرها، لا يجوز: قائمًا في الدار زيدٌ، فإن تأخرت الحال عن الجملة جازت بلا خلاف، أو توسطت فأجازه ذلك الاخفش، ومنعه الجمهور"(١)

وقوله أيضًا: "ولا تسمى جملة، لأن التقدير: خلقها لكم فيها دفءٌ، أو خلقها لكم كائنًا فيها دفءٌ، وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة"(٢).

وذكر وجهًا آخر ذكره المفسرون، إذ قال: "وجوزا أن يكون (لكم) متعلقًا ب (خلقها)، و(فيها دفءٌ) استئناف لذكر منافع الانعام" (٣).

وقد رجح وجهًا من هذه الأوجه الاحتمالية ما يحقق المقابلة النحوية بين قوله:(لكم فيها دفءٌ) و(لكم فيها جمال)، على أنها جملة مستأنفة عما قبله، إذ يقول: "ويؤكد كون (لكم فيها دفءٌ) يظهر فيه الاستئناف مقابلته بقوله: (لكم فيها جمال)،فقابل المنفعة الضرورية بالمنفعة غير الضرورية"(٤)، وهذا ما رشحه الكرماني(٥)، والرازي(٦).

٢-أثر المشاكلة التركيبية في السياق المنفصل: تكون هنا المشاكلة تقديرية، وهي مشاكلة معنوية، تكون قائمة على وجود لفظ واحد في السياق، أي اللفظ المشاكل لا يوجد له لفظ قبله يشبهه، بل يكون اللفظ مشاكلًا لمعنى مقدرًا في الجملة، يُفهم من سياق الحال، ويتحقق هذا في سور مختلفة، وبين تراكيب آيات مختلفة، وهذه الصورة كثيرًا ما اعتمد عليها أبو حيان في توجيهه للآيات المباركة.

من ذلك توجيه قوله: ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ

(١) البحر المحيط،٦/ ٥٠٦.
(٢) المصدر نفسه ، الموضع نفسه .
(٣) البحر المحيط، ٦/ ٥٠٦ .
(٤) البحر المحيط،٦/ ٥٠٦، و روح المعاني،٧/ ٣٤١
(٥) لباب التفاسير،١٠١٦.
(٦) مفاتيح الغيب،١٩/ ١٧٥.

تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة الأعراف :٨٦)

ذُكر فيها وجهان[١]:

الأول: أنّ (من آمن) مفعول بـ(توعدون) فيصير من إعمال الأول، والضمير في (به) عائد إلى (كل صراط)، تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه ، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم دلالة على عظم ما يصدون عنه. وهو اختيار الزمخشري[٢].

الثاني: أنّ (من آمن) منصوب بـ(تصدون) على إعمال الثاني، ومفعول (توعدون) ضمير محذوف، والضمير في (به) قيل: إنه عائد على (سبيل الله) ؛ لأن (السبيل) تذكر وتؤنث، وقيل: على (الله) ، وهو قول العكبري[٣].

وقد رجحه أبو حيان، إذ قال: "ويدل على (من آمن) منصوب بـ(تصدون) الآية الأخرى، وهو قوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ ﴾ (آل عمران:٩٩)"[٤].

نلحظ من ذلك أنّ أبا حيان قد راعى التشاكل بين آيتي من سورة آل عمران وسورة الأعراف ، في اختياره لإعراب قوله (من آمن) في آية الأعراف، بالاعتماد على التركيب القرآني الوارد في سورة آل عمران ، إذ جاء هذا التركيب قاطعًا بوجه واحد ، والتماثل التركيبي بين الآيتين دفع أبا حيان إلى حمل الآيتين على توجيه واحد ، واختيار الوجه النحوي الذي يحقق التشاكل التركيبي. وقد تابعه تلميذه السمين الحلبي في رأيه[٥].

ردَّ أبو حيان رأي الزمخشري، بقوله: "وهذا تعسف في الإعراب لا يليق بأن يُحمل القرآن

(١) يُنظر، البحر المحيط،٥/ ١٠٧، و اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمع و دراسة ،بدر بن ناصر البدر،٧٨.
(٢) الكشاف،٢/ ١٢٨.
(٣) التبيان في إعراب القرآن،١/ ٥٨٢.
(٤) البحر المحيط ،٥/ ١٠٨.
(٥) الدر المصون ،٥/ ٣٧٦.

عليه ؛ لما فيه من التقديم والتأخير، ووضع الظاهر موضع المضمر من غير حاجة إلى ذلك، وعود الضمير على أبعد مذكور مع إمكان عوده على أقرب مذكور الإمكان السائغ الحسن الراجح، وجعل (من آمن) منصوبًا بـ(توعدون) فيصير من إعمال الأول وهو قليل"[١]

وقوله أيضًا عن رأي النحاة : "وقد قال النحاة: إنَّه لم يرد في القرآن لقلته ، ولو كان من إعمال الأول للزم ذكر الضمير في الفعل الثاني وكان يكون التركيب (تصدونه) ، أو (تصدونهم) إذ هذا الضمير لا يجوز حذفه على قول الاكثرين إلّا ضرورة على قول بعض النحاة يحذف في قليل من الكلام"[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة الانعام:٣٩)

اعرب المفسرون قوله:(في الظلمات) بأوجه[٣]:

الأول: أن يكون خبرًا ثانيًا لقوله: (الذين كذبوا).

الثاني: أن يكون حالًا من الضمير المقدر في الخبر، تقديره : ضالُّون حال كونهم مستقرين في الظلمات.

الثالث: أن يكون صفة (بكم)، على أنّه متعلق بمحذوف ، والتقدير: بُكم كائنون في الظلمات.

الرابع: أن يكون ظرفًا لـ(صم) ، أو (بكم).

رجَّح أبو حيان أن يكون (خبرًا) ؛ لأنّ قوله (في الظلمات)، نظير لقوله تعالى في آية أخرى ، وهي: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة البقرة:١٨) ، فعبارة (في الظلمات) تساوي (العمي) في الدلالة، إذ يقول: "والاخبار عنهم بقوله :"صم وبكم في الظلمات" ... وجاء قوله : (في الظلمات) كناية عن عمي البصيرة، فهو يَنظُرُ كقوله:" صم بكم عمي "، لكن قوله: (في الظلمات) أبلغ من قوله: "عُميٌ" إذ جُعلت ظرفًا لهم

(١)البحر المحيط ،٥/ ١٠٨.

(٢)البحر المحيط ،٥/ ١٠٨.

(٣)يُنظر، البحر المحيط، ٤/ ٥٠٥، والتبيان في إعراب القرآن،١/ ٤٩٤، والدر المصون،٤/ ٦١٣-٦١٤.

وجُمعت ؛ لاختلاف جهات الكفر، كما قيل في قوله: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ (سورة الانعام:١)"[١].

نلحظ من ذلك أنّ أبا حيان قد رجح الخبرية، وذلك تناسبًا وتشاكلًا لقوله تعالى في آية أخرى: "صم بكم عمي"، وكما قلت: إذ (في الظلمات) تساوي (العمي) دلالة، فالمشاكلة بين الآيتين والبحث عن التناظر التام بينهما دفع باتجاه خبرية (في الظلمات).

وقد تابعه تلميذه السمين الحلبي، ووضح اختيار استاذه، بقوله: "أن يكون خبرًا ثانيًا لقوله : (والذين كذبوا) ويكون ذلك عبارة عن العمي، ويصير نظير الآية الأخرى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة البقرة:١٨) فعبر عن العمي بلازمه، والمراد بذلك عمي البصير"[٢]، واختاره ابن عاشور[٣].

وقد أشار ابن عطية إلى ذلك دون ذكر إعرابه، بقوله: " وقوله: (في الظلمات) ينوب عن(عمي)، وفي الظلمات أهول عبارة وأفصح وأوقع في النفس"[٤].

ورجَّح الزمخشري أن يكون حالًا، إذ قال: "خابطون في ظلمات الكفر، فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه"[٥].

والباقولي أيضًا بقوله: "والجار في قوله: (في الظلمات) متعلق بمحذوف، والتقدير: صم وبكم ثابتون في الظلمات"[٦].

وهذا ما رجَّحه كذلك الالوسي بقوله : "ورجحت الحالية بأنّها أبلغ إذ يفهم حينئذ أنَّ صممهم وبكمهم مقيد بحالك كونهم في ظلمات الكفر ، أو الجهل وأخويه حتى لو أخرجوا منها لسمعوا ونطقوا ، وعليها لا يحتاج إلى بيان وجه ترك العطف"[٧].

(١) البحر المحيط،٤/ ٥٠٥.
(٢) الدر المصون،٤/ ٦١٤.
(٣) التحرير والتنوير،٧/ ٢١٩.
(٤) المحرر الوجيز،٢/ ٢٩٠.
(٥) الكشاف،٢/ ٢٢.
(٦) إعراب القرآن ، ١/ ١٨٠.
(٧) روح المعاني،٤/ ١٤٠.

نلحظ أنّ أبا حيان لم يكتفِ بالمشاكلة النحوية أساسًا مرجحًا عندما تكون في آية واحدة، أو آيتين متتاليتين في سورة واحدة ، بل جعلها أساسًا للترجيح باعتماد المشاكلة بين الآيات المتناظرة في السور المختلفة.

الخاتمة

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج وهي كما يأتي:

١- أثبت أن المشاكلة ، أو التناسب لم يقتصر تحقيقه على مستوى الدلالة، بل شمل التركيب أيضًا، فقد راعى النصُّ الكريم التوازن التركيبي في جمله وعباراته، مما يضفي على النصِّ سمة جمالية انفرد بها النصّ الكريم.

٢- بيَّن البحث أنّ ظاهرة المشاكلة قد وردت في كتب النحاة واعتنوا بها، وقد عرفت بمسميات مختلفة، وجاءت متفرقة في كتبهم مقصورة على أمثلة تدلُّ عليها، ومعبرة عنها، فكانت من الأسس التي اعتمدوا عليها في تقعيد القواعد النحوية وتعليل ظواهرها.

٣- توصل البحث إلى أنّ المشاكلة بين التراكيب هي الخاصية التي يلجأ إليها صاحب النصّ ، أو المعرب ، أو القارئ في تحديد الحكم الإعرابي ، أو اختياره ، أو ترجيحه وفق ضوابط معينة.

٤- أثبت البحث أنّ المشاكلة ، أو التلاؤم والانسجام بين تراكيب النصّ القرآني له أثر كبير في التوجيه النحوي، وبيان مدى قوته، أو ضعفه، أو رفضّه، وقد اعتمدها أبو حيان في التوجيه النحوي للتركيب القرآني في مواضع كثيره في تفسيره.

٥- توصل البحث إلى أنّ أثر المشاكلة يتحقق في صورتين، أحدهما: يتحقق في السياق المتصل، وتكون المشاكلة لفظية، فيكون بين تراكيب آية واحدة ، أو آيتين متتاليتين وفي سورة واحدة، فاعتمد عليها أبو حيان في توجيهه تركيبًا معينًا لموافقته تركيب آخر في الآية نفسها ، والثاني: يتحقق في السياق المنفصل، وتكون المشاكلة معنوية، فيكون بين تراكيب آيات مختلفة وفي سور مختلفة، وهذه الصورة كثيرًا ما اعتمد عليها أبو حيان في توجيهه للآيات المباركة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعًا ودراسة، د. بدر ين ناصر البدر، مكتبة الرشيد، الرياض، ٢٠٠٠م.

٣. الأصول في النحو، ابن السراج(ت٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط/ ٤، بيروت، ١٩٩٩م.

٤. إعراب القرآن المنسوب للزجاج، أبو الحسن الباقولي(ت نحو ٥٤٣هـ)، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، ط/ ٤، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط/ ٤، حمص، ١٤١٥هـ.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط/ ١، بيروت، ١٤١٨هـ.

٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبريّ(ت٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (د.ت.ط).

٩. التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدرار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٠. الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي(ت٣٧٧هـ)، تح: بدر الدين قهوجي بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رياح وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، ط/ ٢، دمشق/ بيروت، ١٩٩٣م.

١١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت).

١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي(ت١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١، ١٤١٥هـ.

١٣. شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت٦٤٣هـ)، تح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ، ط/ ١، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، ط/ ١، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٥. فصاحة التركيب القرآني عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، دكتور شعلان عبد علي سلطان، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، مجلة بابل،٢٠١٧م.

١٦. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط/ ٣، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٧. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني(ت٦٤٣هـ)، تح: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، ط/ ١، المدينة المنورة، ٢٠٠٦م.

١٨. كتاب فيه لغات القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء(ت٢٠٧هـ)، ضبطه وصححه: جابر بن عبدالله السريع، ١٤٣٥هـ.

١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، ط/ ٣، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٠. لباب التفاسير، أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني(ت بعد٥٣١هـ)، تح: أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض(١٤٠٤هـ، ١٤٢٩هـ).

٢١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني(ت٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط/ ١، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٢. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار الكتب المصرية، ط/ ١، مصر، ١٩٥٥م.

٢٣. مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط/ ٣، بيروت، ١٤٢٠هـ.